دورالألعاب اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

The role of language games in teaching Arabic non-native speakers

الدكتور / عبيد محمد عبد الحليم عبد الجواد
الأستاذ المشارك بجامعة اللغات العالمية الدولية للدراسات الإسلامية

الباحثة / دلارم يوسبوفا
باحثة ماجستير بأكاديمية أوزبكستان

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التحقق من مدى فاعلية إستراتيجية الألعاب اللغوية في تعليم اللغة تعليمًا تواصليًّا، والتأكد من إمكانية تحقيق هذه الاستراتيجية لأهم الشروط والمبادئ التي ترتكز عليها المقاربة التواصلية في تعليم اللغة.

من خلال البحث في الأدبيات التربوية؛ تم التوصل إلى أن إستراتيجية الألعاب اللغوية هي إستراتيجية فعالة في تعليم اللغة تعليمًا تواصليًّا، كما أن استخدامها في العملية التعليمية يحقق العديد من الفوائد والإيجابيات التي يصعب تحقيقها باستخدام إستراتيجيات تعليمية أخرى.

الكلمات المفتاحية : الطرق التواصلية في تعليم اللغة، إستراتيجية الألعاب اللغوية، تعليم اللغة العربية تواصليًّا.

Abstract. This paper aims to verify the effectiveness of language games strategy in teaching language continuously [communicatively], by ensuring that this strategy can achieve the most important conditions and principles underlying the communicative approach to language teaching .In addition, through research in the educational literature, it was concluded that the strategy of language games is an effective strategy in teaching language continuously, thus; its use in the educational process brings many benefits and advantages that are difficult to achieve using other educational strategies.

Key words :Communicative methods in language teaching, language games strategy, Arabic language communication

1- مقدّمة:

يُعدّ المدخل التواصلي من المداخل الحديثة في تعليم اللغات، حيث يهدف إلى بناء ملكة تواصلية لدى المتعلم من خلال ممارسة اللغة بشكل طبيعي في مواقف تواصلية حقيقية، وكذا إكسابه القدرة على استثمار مكتسباته ومهاراته اللغوية وتوظيفها توظيفًا فعّالاً في مختلف المواقف التواصلية التي يواجهها في الحياة اليومية.

إن التعليم التواصلي للغة يرمي إلى اغتناء اللغة ومهاراتها عبر الأنشطة الموفرة للممارسة العملية، من خلال خلق مواقف تواصلية طبيعية لاستعمالها، والتدريب على استخدام أنظمتها وقواعدها استخدامًا تطبيقيًّا فعليًّا، والقدرة على تكييف الحديث حسب السياقات والمواقف الاتصالية المختلفة.

هذا؛ وقد اقتُرِحت إستراتيجية الألعاب اللغوية كإحدى أهم الطرق والاستراتيجيات التي تعمل على تعليم اللغة تعليمًا تواصليًّا، نظرًا لكونها تسهم في خلق مواقف طبيعية وحيوية لممارسة اللغة، كما أنها تساعد على تعزيز الكفاءة التواصلية وتنمية الطلاقة اللغوية لدى المتعلمين، مراعية بالإضافة إلى ذلك حاجاتهم وميولهم الفطرية.

استنادًا إلى ما سبق؛ تسعى هذه المداخلة إلى الإجابة عن الإشكاليات التالية:

- هل يمكن لإستراتيجية الألعاب اللغوية تحقيق الشروط والمبادئ الأساسية التي يستند إليها تعليم اللغة العربية تعليمًا تواصليًّا؟
- ما مدى ذلك؟ وفي أي شأن؟
- ما هي أهم الفوائد والإيجابيات التي يمكن تحقيقها من خلال إستراتيجية الألعاب اللغوية في تعليم اللغة؟

DOI: 10.5281/zenodo.18035616

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن هذه الإشكاليات من خلال التعرف على المقاربة التواصلية، وأهم المبادئ التي ينبغي الارتكاز عليها في تعليم اللغة تواصليًّا، ثم تعمل على تبيان كيفية تدريس اللغة باستخدام إستراتيجية الألعاب اللغوية، والتحقق من إمكانية توفر هذه المبادئ أثناء استخدام الألعاب اللغوية، وأهم الفوائد التي يمكن جنيها من استخدام هذه الاستراتيجية في تعليم اللغة.

2- المقاربة التواصلية في تعليم اللغة:

2-1- مفهوم المقاربة التواصلية:

لقد تعددت المصطلحات التي تعبر عن مفهوم المقاربة التواصلية في الأدبيات التربوية؛ حيث اعتبرها الباحثون طريقة، أو مدخلاً، أو اتجاهاً، أو مقاربة، أو مجموعة من الطرق... وتعددت تبعاً لذلك التعريفات المقترحة لهذا المفهوم. إلا أن جميعها تدور حول فلك واحد؛ فالمقاربة التواصلية أو المدخل التواصلي في تعليم اللغة هو ذلك الاتجاه الذي يسعى إلى تعليم اللغة باعتبارها أداة للتواصل الاجتماعي، وإكساب المتعلم قدرة على استخدام اللغة استخدامًا مناسبًا للسياقات التي يواجهها في حياته اليومية.

ورد في "معجم علوم التربية" تعريفًا لها على أنها تعني: «مجموع المناهج والطرائق والاستراتيجيات المرتبطة بحقل ديدكتيك(علم التدريس أو التدريسية) اللغات التي تنطلق من المنظور الوظيفي لتعليم اللّغات وتعلمها. والمقصود بالمنظور الوظيفي تمكين المتعلم من التواصل باللغة واستعمالها لأداء نوايا تواصلية محددة قصد التأثير في سياق سوسيو-ثقافي، وفي وضعيات تواصلية»[1]. فاللّغة ما هي إلا أداة للتواصل، ولا يمكن اعتبار تعليمها تعليمًا ناجحًا إلا إذا امتلك المتعلم القدرة على التواصل باللغة الهدف واستعمالها في سياقاتها الوظيفية.

في تعريف آخر، جاء في دائرة معارف اللغة لـ "كريستال" (Crystal) أن المدخل الاتصالي هو: «ذلك المدخل الذي يرتكز في تعليم اللغة على اللغة ذاتها ووظائفها، وتلك الكفاية الاتصالية، بدلاً من المبادئ النحوية وأهميتها في حد ذاتها»[2]. فالملكة اللغوية رغم أهميتها في تعليم اللغة، إلا أنها ليست أهم من الملكة التواصلية التي تمكن المتعلم من توظيف مهاراته اللغوية وتكييفها حسب المواقف التواصلية المختلفة. لذلك: «اهتمت المقاربة التواصلية المنبثقة عن اللسانيات التداولية في مجال التعليم والتعلم بالتركيز على تطور قدرة المتعلم التواصلية وتفعيل مهاراته التعليمية وتحقيق طلاقته اللغوية ودرجة فاعليته عبر الاستعمالات الوظيفية للغة، حيث يرى أصحابها أنه لا يكفي أن يكون المتعلم قادراً على قراءة الجمل بل يجب إكسابه القدرة على استعمال هذه الجمل والعبارات في مواقف تواصلية معينة»[3]. لذلك ينبغي التركيز على كلتا الملكتين في تعليم اللغة.

أ- الكفاية التواصلية هي الهدف الأساسي من تعليم اللغة:

أبدل "هايمز" مصطلح "الكفاية اللغوية" الذي جاء به "تشومسكي" (Chomsky) بمصطلح "الكفاية التواصلية"؛ حيث يرى هايمز أن امتلاك المتعلم للملكة اللغوية أو لقدر من القواعد اللغوية لا يكفي ليكون متمكناً من اللغة وقادراً على التواصل بها، وعليه أن يكتسب كفاية تواصلية لتحقيق ذلك. وقد عرفها بأنها: «قدرة الفرد على أن ينقل رسالة، أو يوصل معنى معيناً، وأن يجمع بكفاءة بين معرفة القواعد اللغوية، والقيم والتقاليد الاجتماعية في الاتصال»[4]. فالكفاية التواصلية تعني امتلاك قواعد الاستعمال الاجتماعية بالإضافة إلى قواعد اللغة، وتوظيفهما معًا من أجل تحقيق التواصل المناسب للسياقات التواصلية المختلفة.

وفي تعريف آخر للكفاية التواصلية، حدت في المنهج التربوي بأنها: «مجموع القدرات التي يستطيع بواسطتها شخص ما أن يدخل في سيرورة تواصلية مع الآخرين، فهي لا تقوم على القدرات اللسانية وحدها، أي القدرة على تكوين جمل صحيحة لغويًّا؛ بل إنها تأخذ بعين الاعتبار قدرات لسانية تدخل في سيرورة التواصل وترتبط باستعمال اللغة أكثر مما ترتبط بنسق نحوي شكلي»[5].

هذا؛ وتحظى الكفاية التواصلية بأهمية كبيرة في المقاربة التواصلية، حيث يرى البعض أن تعليم اللغة اتصاليًّا يعني: «جعل الكفاية الاتصالية (communicative competence) الهدف الرئيسي من تعلم وتعليم اللغة»[6]. وذلك لتمكين المتعلم من توظيف اللغة واستعمالها استعمالاً مناسبًا لمختلف المواقف التواصلية.

ب- التعويل على الممارسة الفعلية للغة في مواقف تواصلية حقيقية:

إذ يصعب إكساب المتعلمين كفاية تواصلية دون تدريبهم على استخدام اللغة وممارستها في مواقف تواصلية حقيقية ذات سياقات متنوعة تمكنهم من امتلاك قواعد الاستعمال الاجتماعية. «فتعليم اللغة اتصاليًّا يتجسد في الرغبة في جعل تعلم اللغة معتمدًا على الاتصال الطبيعي أكثر من اعتماده على المشاركة في أنشطة موجهة توجيهًا تربويًّا ومؤلفة نصيًّا لهذا الغرض»[7].

لذلك تحرص المقاربة التواصلية على توفير الظروف من أجل الممارسة الفعلية للغة، وذلك من خلال خلق أنشطة تواصلية حية، والتدريب على أشكال الحوار والمحادثة المباشرة، والاعتماد على طرائق تعليمية تساعد على «توفير الفرص لكي يتحرك الدارسون في أنشطة اتصالية، ومواقف طبيعية تنقل الحياة قدر الإمكان إلى حجرة الدراسة»[8]. فلابدّ في المقاربة التواصلية لتدريس اللغة من أن تكون المواقف التعليمية «مستقاة من واقع الحياة الفعلية، وأن تبتعد قدر الإمكان عن تكرار تراكيب وقوالب لغوية جامدة لا تلبث أن تزال من ذاكرة التلميذ لعدم اقترانها بموقع استعمالها، ولعدم تلبيتها حاجة معينة لديه»[9]. فكلما كانت المواقف اللغوية حقيقية وأكثر تأثيراً، كلما كانت أكثر رسوخًا في ذهن المتعلم.

ت- التكامل بين المهارات اللغوية:

من أهم المبادئ التي يشدد عليها التعليم التواصلي للغة، اعتبار المهارات اللغوية كتلة متكاملة، والاهتمام بتعليم جميع مهاراتها وفنونها بنفس القدر، وعدم الفصل بينها في عملية التدريس؛ ففي المدخل الاتصالي «تتكامل المهارات اللغوية مع بعضها بعضاً، ولا يعني التكامل هنا مجرد ضم مهارة لأخرى، وإنما هو شيء أبعد من ذلك، إذ يدخل هذا في تصميم الموقف الاتصالي نفسه، فالموقف الاتصالي غالباً ما يحتاج إلى توظيف مهارتين أو أكثر في آن واحد»[10]. وقد يتسبب غياب إحدى هذه المهارات في فشل عملية التواصل كلّها.

ث- المتعلم هو محور العملية التعليمية:

يدعو المدخل التواصلي إلى تفعيل دور المتعلم في تسيير العملية التعليمية، وتوجيهه نحو التعلم الذاتي وتشجيعه على الإبداع، «وتفعيل قدرات الاستكشاف والبحث لديه بما يُفعّل طاقات التعلم الذاتية الكامنة لدى كل فرد»[11].

«ومركزية المتعلم تفرض مراعاة ميوله واحتياجاته، وقد أرادت أن تبنى المناهج والخطط والمقررات وفق حاجاته ورغباته وأهدافه التعليمية؛ لهذا ينبغي أن تكون المواقف اللغوية والأنشطة المصاحبة لها مما يرغبه المتعلم ويستطيع المشاركة فيه»[12]. إن مراعاة احتياجات المتعلمين وقدراتهم تستوجب الاعتراف بالفروق الفردية بينهم، وإعطاء كل منهم الفرصة ليتعلم حسب جهده وإمكاناته، ولابد في ذلك من التنويع بين مختلف الطرق والوسائل التعليمية[13].

ج- الاهتمام بالوظائف اللغوية بدلاً من الاهتمام بالقواعد اللغوية:

إن اعتبار اللغة أداة للتواصل الاجتماعي، يحتم أن يكون الاهتمام في تعليمها منصبًّا على الوظائف التي تؤديها في سياق تواصلي أكثر من تعليم قواعدها النحوية وأشكالها التركيبية، لذلك «في المقاربة التواصلية الاختيار مرتبط بالتركيز على وظائف ومواقف اجتماعية، لا على القواعد اللغوية»[14]. كما يجب في تدريس هذا المحتوى «أن تُعرض المادة بطريقة دائرية، لا بطريقة خطية، بحيث يستطيع المتعلم تنمية معارفه وقدراته على استخدام اللغة آلية تنمية اللغة كقوالب جامدة»[15]. فالتدرج المناسب في تعليم اللغة من أهم عوامل نجاح عملية تعليمها.

ح- التركيز على التعلم الجماعي والتعلم التعاوني:

إن توفير فرص لممارسة اللغة في سياقات تواصلية يتطلب خلق مواقف تواصلية يتحاور من خلالها المتعلمون مثنى وجماعات، وهو ما يوجب استخدام طرائق تعتمد على العمل الجماعي، حيث تشدد المقاربة التواصلية على أهميته في تعليم اللغة؛ لدرجة جعلت البعض يرى بأن المدخل التواصلي يعني استخدام إجراءات تجعل الدارسين يعملون في «أزواج أو مجموعات تستعمل إمكانات اللغة المتاحة لهم في أداء مهام وحل المشكلات»[16]. حيث يسهم التعلم الجماعي في تنمية مهارات التواصل لدى المتعلمين بطرق فعالة.

3- الألعاب اللغوية ودورها في تعليم اللغة تواصليًّا:

3-1- مفهوم الألعاب اللغوية:

يُعدّ مجال تعليم اللغات من أهم المجالات التي حاولت استثمار فوائد اللعب في التعليم، حيث ظهر ما يُسمّى بالألعاب اللغوية، أو الألعاب التواصلية، وهي ألعاب صُممت خصيصًا من أجل تطوير مهارات اللغة أو إحدى هذه المهارات، أو إنماء الحصيلة اللغوية، أو تحسين الأداء التواصلي استخدام اللغة لدى المتعلمين.

ومن أهم الباحثين الذين تطرقوا لمفهوم الألعاب اللغوية "سامي عبد العزيز"، فيقول: «يستخدم اصطلاح "الألعاب" في تعليم اللغة، لكي يعطي مجالاً واسعاً في الأنشطة الفصلية، لتزويد المعلم والدارس بوسيلة ممتعة ومشوقة للتدريب على عناصر اللغة، وتوفير الحوافز لتنمية المهارات اللغوية المختلفة»[17]. فالألعاب اللغوية إذن هي مجموعة من الأنشطة التي تمارس في الفصول والأقسام الدراسية، وتحتوي على عناصر التشويق

والاستمتاع، وتسعى إلى تحقيق أهداف لغوية محددة؛ كالتدريب على بعض المهارات اللغوية، أو تطوير استخدام بعض العناصر اللغوية، أو تنمية المفردات اللغوية... لدى متعلمي اللغة.

أمّا "محمد الحيلة" و"عائشة غنيم" فقد عرّفا الألعاب اللغوية بأنها: «نشاط لغوي هادف، أو موجّه، من أجل تحقيق الأهداف المتعلقة بمهارات اللغة العربية، وفي موضوعات شتى، ومجالات متنوعة، ضمن قواعد وقوانين معينة موصوفة وتحت إشراف المعلم، ومراقبته، وتوجيهاته تزود المعلم والمتعلم...

...بوسيلة ممتعة للتدريب على عناصر اللغة، وتوفر الحوافز لتنمية المهارات اللغوية المختلفة، وتنمو بعض العمليات العقلية»[18]. من خلال هذا التعريف يمكن استخلاص أهم الخصائص التي تميّز الألعاب اللغوية، وهي:

- أنها نشاط لغوي: أي أنّ اللغة هي الوسيلة الأساسية التي يتم بواسطتها هذا النشاط.
- نشاط هادف: يسعى لتحقيق أهداف لغوية محددة بدقة ووضوح.
- نشاط موجه: يحضر فيه المتعلمون لتوجيهات وإرشادات المعلم.
- نشاط منظم: يقوم على أساس مجموعة من القواعد والقوانين التي ينبغي مراعاتها من قبل المتعلمين.
- التنوع: ينبغي أن تتصف الألعاب اللغوية بالتنوع، لتغطي موضوعات ومجالات متعددة من اللغة، وتراعي الفروق الفردية.
- التشويق: من أهم الصفات التي ينبغي أن تتصف بها هذه الأنشطة، احتواؤها على عناصر المتعة والتشويق، وعوامل التحفيز، حتى تثير حماس ودافعية المتعلمين، وتتم في جو من التنافس والبهجة والسرور.

إن استثمار اللعب في العملية التعليمية التعلمية له دور كبير في تحسين جودة التعليم وتحقيق العديد من الأغراض، ومن أهم الفوائد التي يمكن جنيها من استخدامه ما يلي:

أ- رفع دافعية المتعلمين وزيادة إقبالهم على التعلم:

يساعد استخدام اللعب في التعليم على تحفيز المتعلمين وشدّ انتباههم وتركيزهم، ويدفعهم إلى الإقبال على التعلم بشغف، ويجعلهم أكثر اندماجاً في العملية التعليمية. «فاللعب يُعد أحد العوامل التي تسهم في عملية تعلم ذات جودة عالية، حيث يرتبط بوجود حافز داخلي لدى الطالب، ولا يحتاجون إلى إشباع حوافز داخلية لديهم، ومراعاة احتياجاته واهتماماته»[19]. فالأطفال يميلون بالفطرة إلى ممارسة اللعب، وهم يحتاجون إليه.

ب- توفير الظروف التعليمية الملائمة:

يسهم استثمار اللعب في العملية التعليمية في تخليص المتعلم من جميع الضغوط النفسية التي تعيق تعلمه، كما أنه يوفر له نوعاً من الحرية في التعلم، ويعتبر اللعب نشاطاً حيوياً يعمل على تحفيز جميع المتعلمين بما فيهم غير النشطين عادة. هذا، ويعد اللعب من الطرق التعليمية التي تتمحور حول المتعلم، وتجعله العنصر الفاعل في العملية التعليمية لأن «الألعاب تؤدي إلى الإسهام في تقليل الفجوة بين ما يجري في غرفة الصف وما يجري في مواقف الحياة اليومية»[20]؛ وهو ما يجعل التعليم ذا معنى، ويساعد المتعلم على الاستفادة من مكتسبات تعلمه وتوظيفها على أرض الواقع.

ت- تقريب المفاهيم وتسهيل عملية الفهم والإدراك:

أكد "محمد الحيلة" على دور اللعب في تسهيل عملية الفهم قائلاً: «يمثل اللعب وسيلة تعليمية لتقريب المفاهيم إلى الأطفال وتساعدهم في إدراك معاني الأشياء والتي تمر عبر واقع الحياة»[21]. فالمتعلمون يقومون أثناء اللعب باستخدام العديد من الحواس، وهو ما يساعد على تحسين عملية الإدراك وتقريب المفاهيم التجريدية وتوضيح الأفكار الغامضة.

ث- تثبيت المعلومات وبقاء الأثر التعليمي لفترات أطول:

يُعد اللعب وسيلة تطبيقية، يتمكن المتعلمون بواسطتها من تطبيق المعارف والمعلومات النظرية وتوظيفها في أرض الواقع، وهو ما يساعد على تثبيت المعلومات والاحتفاظ بها لوقت أطول؛ إذ تؤكد العديد من الإحصائيات على أن «الإنسان يتذكر 90% مما يقوله ويعمل به»(22). كما أن المتعلم أثناء ممارسته للعب يتعلم في جو من الانفعالات، مما يجعله يعيش مواقف أكثر تأثيراً: «وكلما كان الموقف التعليمي مصحوباً بانفعال ما، كان أكثر تأثيراً في السلوك، وأكثر بقاء في الذاكرة. وكلما تعددت مسارات استقبال المعلومة، كلما تم فهمها لدى

المشارك»[23]. فالحواس تمثل مساراً لإدخال المعلومات نحو الدماغ، وكلما تعددت المسارات، كلما تم تثبيت المعلومات أكثر.

ج- معالجة مشكلات التعلم النفسية:

لا شك في أن اللعب يساعد على تخطي العديد من المشكلات التعليمية التي يعاني منها بعض المتعلمين، كالخوف، القلق والتوتر، العزلة والانطواء، وانعدام الثقة بالنفس...

ح- التقليل من الفروق الفردية وتفريد التعليم:

إن التنوع الذي تتسم به الألعاب له دور كبير في تلبية حاجيات وميول المتعلمين ومراعاة قدراتهم باختلافها، فالألعاب تضمن: «المشاركة الفعّالة للمستويات المختلفة للطلبة لا سيما أنها تقدم فرصاً متساوية لبطيئي التعلم وسريعي التعلم»[24]؛ إذ يمكن إسناد الأدوار الصعبة في اللعبة إلى التلاميذ سريعي التعلم، بينما يؤدي التلاميذ بطيئو التعلم الأدوار الأكثر سهولة ويسراً.

خ- زيادة التفاعل الصفي وتنمية مهارات التواصل والتعبير:

يؤكد جراس (J.Gruss) على أن: «تنظيم العمل والتفاعل في الفصل الدراسي هو أحد الوظائف التي تقدمها الألعاب... يعتبر سياق التفاعل أمراً ممتعاً ومفيداً للطلاب الذي تولده الألعاب»[25]. إذ يغلب على الألعاب جو المرح والتعاون والتنافس، وهو ما يزيد من تفاعلهم، ويساعد في بناء العلاقات الودية بينهم، وتنمية القيم والمبادئ الاجتماعية لديهم.

د- تنمية مهارات التفكير وحل المشكلات:

التعليم عن طريق اللعب يُعد بمثابة جعل المتعلمين في وضعية مشكلة، وعليهم بذل الجهود الكافية لحل المشكلة التي تنطوي عليها اللعبة، وهو ما يدفعهم إلى تفعيل جميع العمليات العقلية لحل المشكلة والوصول...

...باللعبة إلى حل. «فالتعلم باللعب يساعد على جذب انتباه المتعلمين لموضوع التعلم، وينمي نشاطهم العقلي مثل القدرة على حل المشكلات والتقويم الذاتي، ويساعد المتعلمين... في نمو التذكر والتفكير والإدراك والتمييز»[26]. وهي مهارات مهمة جداً في العملية التعليمية، ويصعب تفعيلها في أغلب الطرق التعليمية الأخرى.

هذه أهم النقاط الإيجابية التي يمكن الاستفادة منها عن طريق استخدام اللعب كإستراتيجية للتعليم، وتبقى العديد من الفوائد التي يصعب حصرها جميعاً، فاللعب هو الوسيلة الطبيعية التي يكتسب الطفل من خلالها معارفه ومعلوماته، وينمي بواسطتها مهاراته ومواهبه، ويحصل له عن طريقها النضج بمختلف اتجاهاته وجوانبه.

3-3- الألعاب اللغوية كإستراتيجية لتعليم اللغة تواصلياً:

يُعدّ اللعب الطريقة الطبيعية التي يتمكن الأطفال بواسطتها من التعلم والاكتشاف والتكيف مع البيئة التي يعيشون فيها، وهو ما يظهر جلياً في اكتسابهم للغة الأم الذي يتم من خلال ألعاب الصبا؛ إذ «تشكل هذه الألعاب مرائق (طرائق) يتعلم الأطفال بواسطتها لغتهم الأم وكيفية الاندماج في المجتمع»[27]. ولقد أكد العديد من الباحثين أن اللعب هو من أهم العوامل التي تسهم في تعلم الطفل للغته الأم، حيث يقول "د.برونر" (Bruner): «يمكن القول أن أعقد الملاحم العقلية التي يمكن أن ينجزها الطفل الصغير وهي إتقان الطفل للغة الأم، لا يمكن أن تحدث تحت إكراه الكدح للوصول إلى أهداف حقيقية، وإنما تحدث في مواقف اللعب»[28]. فمن خلال ألعابهم يتدربون على استخدام مختلف الصيغ والقواعد اللغوية.

لذلك كان من الطبيعي أن تُقترح الألعاب اللغوية كإستراتيجية فعالة للتعليم التواصلي للغة، وفي ما يلي أهم المميزات التي تُكسبها تلك الفعالية:

- دور الألعاب اللغوية في تنمية الكفاية التواصلية للمتعلمين:

أثناء اللعب، يتعرض المتعلمون لمواقف كثيرة يضطرون فيها إلى ممارسة اللغة بشكل دائم، فيشعرون بالحاجة إلى فهم ما يقال لهم، والتعبير عن حاجياتهم ومشاعرهم وأفكارهم، من أجل تحقيق التواصل الفعال والتعاون المطلوب مع أعضاء الفريق، لإنجاز المهمة والوصول باللعبة إلى تحقيق الأهداف. «ففي الألعاب اللغوية: تكون اللغة هي الوسيلة التي تتحقق بها الأهداف الموضوعية، فاللغة هنا أداة لاستعمال وليست مادة للتدريب فقط»[29]، وهو ما يساعد على تنمية الطلاقة اللغوية وتعزيز الكفاءة التواصلية. كما أن الألعاب اللغوية، عن طريق المواقف التواصلية التي تنشأ من خلالها؛ تكسب المتعلم ألفاظاً وتراكيب لغوية جديدة يقوم بتوظيفها واستخدامها في سياقات مناسبة، فيساعده ذلك على إثراء قاموسه اللغوي وتنمية مختلف مهاراته اللغوية والتواصلية.

وقد أجريت العديد من الدراسات التي تدعم نتائجها هذا الرأي، إذ: «تبين فيها أن اهتمام الطفل باللعب... ينمي الحصيلة اللغوية والمعرفية عنده بالإضافة إلى القدرة على التواصل الجيد من خلال توظيف هذه الحصيلة في التفاعل مع الوسط المحيط»[30].

والألعاب اللغوية لا تسهم في تنمية الكفاية التواصلية للمتعلمين فحسب؛ بل إنها تعمل أيضاً على مساعدة المدرس في تقييمها لدى المتعلمين، إذ تستدعي الألعاب من المتعلمين توظيف كل إمكانياتهم وقدراتهم اللغوية لتحقيق التواصل المطلوب، فتظهر خلال أدائهم للمهام المنوطة بهم في اللعبة كفاءتهم اللغوية والتواصلية بوضوح، مما يسهل على المدرس تقييم كفاءتهم من خلال ملاحة الأداء الذي يبدونه أثناء اللعب. وهذا ما أكده الباحثون إذ يقول أحدهم: «تمكن ألعاب المعلمات من ملاحظة تحصيل الطلاب الصغار للعلم بشكل فعلي»[31]. حيث تظهر أثناء اللعب القدرات الحقيقية للمتعلمين في استخدام اللغة.

- دور الألعاب اللغوية في خلق مواقف تواصلية حقيقية لممارسة اللغة:

تعدّ مواقف اللعب أشبه المواقف التعليمية بمواقف الحياة اليومية، فاللعب ما هو إلا انعكاس لما يجري من أحداث على أرض الواقع. واستخدام الألعاب في تعليم اللغة يمكن من توظيفها في سياقات حية، ويساعد على ممارستها في مواقف شبيهة بمواقف الحياة الحقيقية؛ «إذ تساعد الألعاب المعلم على إنشاء نصوص تكون اللغة فيها نافعة وذات معنى، تولد لدى الدارسين الرغبة في المشاركة والإسهام»[32]. وهو ما يتوافق مع نصائح المدخل التواصلي في تعليم اللغة. والفائدة التي يمكن تحصيلها من تعليم اللغة عن طريق الألعاب: «تبدأ في استجابة الدارسين لما يلقوا إليه من مستوى سلبي إلى إيجابي، ينمي مشاعرهم المرح والتنافس والغضب والدهشة والاهتمام، ينعكس أيضاً في كون اللغة ذات معنى ولغة لها هدف بين المشاركين»[33]. فاللعب يجعل ممارسة المتعلمين للغة مصحوبة بمختلف الأحاسيس والانفعالات، فيشعرون بقيمة اللغة التي يستعملونها، حيث تصبح بالنسبة لهم لغة مفيدة وذات معنى، مما يدفعهم إلى الإقبال عليها بلهفة وشوق.

- دور الألعاب اللغوية في دمج المهارات اللغوية واستخدام اللغة ككل متكامل:

يمارس المتعلمون خلال اللعب اللغة بمهاراتها المختلفة، فهم يستمعون ويتحدثون ويقرؤون ويكتبون، إنهم يستخدمون اللغة كبنية كلية تندمج وتتكامل فيها مختلف المهارات اللغوية، وهذا ما ينادي به الاتجاه التواصلي في تدريس اللغة، حيث يركز على أن اللغة كل متكامل، لذا لابد أن ينبني تدريسها على أساس عدم الفصل بين مختلف فنونها ومهاراتها. هذا، وتعد: «الألعاب اللغوية من أقصر الطرق لإتقان اللغة بمهاراتها المختلفة: الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة، بوصفها أنها كل لا يتجزأ، ووسائل لتعزيز تعلم اللغة وإتقانها داخل الغرفة الصفية»[34]. حيث يعكس تنوع المهام التعليمية في الألعاب، تنوعاً في المهارات والفنون اللغوية المستخدمة.

- الألعاب اللغوية إستراتيجية تعتمد على مركزية المتعلم في العملية التعليمية:

تعتبر الألعاب اللغوية من الاستراتيجيات التي تؤكد على مركزية المتعلم في العملية التعليمية؛ فهي إستراتيجية تقوم على تفعيل دور المتعلم وجعله محور الأنشطة الصفية ومحركها، حيث تتيح الفرصة: «لتغيير الدور التقليدي لكل من المعلم والمتعلم، إذ توجه المعلم نحو دور الإعداد والتنظيم والمتابعة وتوفير المهام والتقييم»[35]، لتأخذ بيد المتعلم ليكون هو العنصر الفاعل الذي يتحمل مسؤولية تعلمه، ويقوم بمختلف الأنشطة والتمارين الصفية. وهو الأمر الذي تحرص البيداغوجيا الحديثة والنظريات التواصلية على تحقيقه والالتزام به.

إن استخدام اللعب في أنشطة تعليم اللغة له دور كبير في إشباع الاحتياجات الفطرية للمتعلمين، كما أنه يساعد على مراعاة قدراتهم ومستوياتهم وكذا الفروق الفردية بينهم، وهو بالإضافة إلى أنه يضفي جواً من الحيوية والحماس على المواقف التعليمية، فإنه إلى جانب ذلك يتيح فرصة للمواءمة والمعلمة لاختيار ما يناسب نمط التعلم لدى كل طفل، فالأنشطة الناجحة هي التي تتيح للطفل الاختيار من العديد من البدائل المتاحة، كما أن تعدد مستويات الأنشطة يوفر للمتعلم «فرصة البدء من نقطة تتفق مع قدراته العقلية واستعداداته واهتماماته»[36]. لذلك يعد التعليم باستخدام اللعب من أنجع الطرق لمواجهة مشكلة الفروق الفردية.

- الألعاب اللغوية إستراتيجية من إستراتيجيات التعلم التعاوني:

تعد الألعاب التعليمية من أهم أنواع التعلم التعاوني، حيث يتم تقسيم المتعلمين إلى مجموعات تتعاون فيما بينها من أجل تحقيق أهداف مشتركة والتفوق على الفرق المنافسة؛ ففي الألعاب اللغوية: «يسير التنافس والتعاون جنباً إلى جنب. فهناك مجموعات وفرق، ولكن هناك أصدقاء يساعدهم على الانتصار على الفرق المنافسة أو التغلب عليها، كما أن هناك أحياناً أخرى»[37]. وهو ما يساعد على تحفيز المتعلمين وتنشيط التفاعل والتواصل

بينهم، إذ تعد: «الألعاب أكثر وسائل التعلم التي يتفاعل من خلالها الأفراد فيما بينهم»[38]. وهو بالضبط ما تسعى المقاربة التواصلية إلى تحقيقه.

- دور الألعاب في توفير الراحة والتلقائية في استخدام اللغة:

من أهم العوامل التي تعرقل تعلم اللغة واكتساب الكفاية التواصلية؛ التوتر والقلق الذي يصيب المتعلمين بسبب الخوف من الوقوع في الأخطاء أو الفشل في الفهم، وهو ما يدفعهم إلى الامتناع عن ممارسة اللغة والمشاركة في درس تعليمها، ويعد اللعب أداة فعالة لتخطي هذه المشكلة وتجاهلها، فمن خلال اللعب يتصرف المتعلمون بحرية وكبيرة وثقة زائدة، حيث يوجهون تركيزهم على توصيل الفكرة للآخرين بأي شكل من الأشكال دون الاهتمام بمعايير الصحة والمطابقة. «فهم يحتاجون من أجل إكمال المهمة إلى تحفيزهم بواسطة ممارسة لعبة، وعبر الاستمتاع الذي تحققه، يتم تعلم اللغة بسلاسة»[39]. فاللعب كفيل بأن يخلصهم من الخوف التي تواجههم أثناء تعلم اللغة، مما يدفعهم إلى تخطي عوامل الضغط أو التوتر، ويؤدي إلى تسهيل استخدام اللغة بتلقائية وطلاقة.

- دور الألعاب في المساعدة على الإبداع والابتكار في استعمال اللغة:

من أجل تحفيز المتعلمين على الإبداع والابتكار، لابد من توفر الظروف الملائمة والبيئة التي تعمل على إيقاظ المواهب والإمكانيات الكامنة، والتشجيع على تطويرها وتنميتها. ويتميز اللعب بمجموعة من الخصائص التي تجعل منه الوسيلة المناسبة لتحقيق هذه الظروف، حيث يعيش المتعلمون أثناء اللعب أجواء من التنافس والحماس، والمثابرة والاجتهاد، والإرادة والعزيمة... ويسخرون كل طاقاتهم وقدراتهم من أجل تحقيق الأهداف المطلوبة، وهو ما يدفعهم إلى الإبداع والابتكار في استخدام اللغة. فالألعاب اللغوية «تساهم بشكل كبير في توفير أجواء تساعد على الاستخدام المبدع للغة بصورة طبيعية جنباً إلى جنب مع أساليب ومناشط أخرى»[40]، وهذا هو الهدف المطلوب من تعليم اللغة تواصليًّا.

خاتمة:

في الختام؛ نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- الألعاب اللغوية إستراتيجية فعالة لتعليم اللغة تواصلياً؛ فهي تساعد على خلق سياقات طبيعية للتدريب على استخدام اللغة والتواصل بها، كما أنها تعين على تعزيز الملكة التواصلية للمتعلمين وتنمية الطلاقة والتلقائية في ممارسة اللغة لديهم.
- الألعاب اللغوية من أبرز الطرق التعليمية التي تتمحور حول المتعلم وتجعله العنصر الفاعل في العملية التعليمية، كما أنها تعمل على مراعاة احتياجاته وميوله الفطرية وقدراته ومستواه العقلي والمعرفي، وتحفز دوافعه للتعلم، وهذا ما يسعى التعليم التواصلي للغة إلى تحقيقه.
- تجمع الألعاب التعليمية بين مميزات العديد من الطرق التعليمية التي توصي بها المقاربة التواصلية في تعليم اللغة؛ إذ يمكن أن تحقق فوائد: التعليم التعاوني، التعليم التنافسي، التعليم الذي يستند إلى حل المشكلات، التعليم الذاتي...
- يمكن تنشيط العديد من الحواس في الألعاب التعليمية، وهو ما يساعد على مراعاة الفروق الفردية للمتعلمين، كما أنه يؤدي دوراً فعالاً في تنشيط مختلف العمليات العقلية وإبقاء أثر التعلم لمدى أطول.

نوصي بتوعية المدرسين والقائمين على تعليم اللغة العربية بأهمية الألعاب اللغوية ودورها في إكساب الكفاية التواصلية للمتعلمين، وفوائدها في العملية التعليمية، كما نوصي بتوسيع استخدام الألعاب اللغوية في تعليم اللغة في مختلف المراحل الدراسية، خاصة المراحل الأولى حيث يكون فيها اللعب غريزة فطرية لدى المتعلمين.

الهوامش:

1. صليحة ملحاوي، "استثمار مبادئ اللسانيات التداولية في تعليمية اللغة العربية" المقاربة التواصلية أنموذجاً، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 11، ديسمبر 2018م، ص 205. (نقلاً عن: عبد اللطيف الفارابي وآخران، معجم علوم التربية، دار الخطابي الجديدة ومطبعة النجاح، ط1، 1994م، المغرب، ص 22).
2. رشدي طعيمة ومحمود الناقة، تعليم اللغة اتصالياً بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو-، 2006م، ص 45. (نقلاً عن: crystal, D.: the cambridge encyclopedia of language, Cambridge, Cambridge University Press, 1989, 32, p.417).

3. عزيز بوغرارة، "المنهج التداولي في تعليمية اللغة العربية"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، العدد 14، ص 210.
4. رشدي طعيمة، المهارات اللغوية: مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر، ط1، القاهرة، مصر، 2004م، ص 168.
5. عبد الكريم غريب، المنهج التربوي، منشورات عالم التربية (مطبعة النجاح الجديدة)، ط1، الدار البيضاء، 2006م، ص 173.
6. رشدي طعيمة ومحمود الناقة، تعليم اللغة اتصالياً، ص 52.
7. رشدي طعيمة، المهارات اللغوية، ص 179.
8. رشدي طعيمة ومحمود الناقة، تعليم اللغة اتصالياً، ص 75.
9. نضر صبيحي، "اللسانيات التداولية وآثارها في تعليمية اللغات"، مجلة منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، العدد 3، أفريل 2007م، ص 51.
10. رشدي طعيمة، المهارات اللغوية، ص 182.
11. نضر صبيحي، "اللسانيات التداولية وآثارها في تعليمية اللغات"، ص 47.
12. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، مكتبة الملك فهد، ط1، الرياض، 2002، ص 150-151.
13. سامي خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988م، ص 173.
14. نفس المرجع، ص 172.
15. نفس المرجع، ص 172.
16. جاك ريتشارد، وثيودار روجر، المذاهب وطرائق في تعليم اللغات، تر: محمود إسماعيل صيني وآخران، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، 1990م، ص 128.
17. سامي مصطفى عبد العزيز، الألعاب اللغوية في تعليم اللغات الأجنبية، دار المريخ، ط1، الرياض، السعودية، 1983م، ص 12.
18. محمد الحيلة وعائشة غنيم، "الألعاب التربوية اللغوية المحوسبة والعادية في معالجة الصعوبات القرائية لدى طلبة الصف الثاني الأساسي"، (مصدر ناقص في النص الأصلي).